الهجرة غير الشرعية في المتوسط: دراسة في المفهوم

حطاب عبد المالك جامعة خميس مليانة
بن سعيد بشير جامعة تيسمسيلت

ملخص:

أصبحت ظاهرة الهجرة غير الشرعيّة من أهم الظواهر التي حظيت باهتمام دولي ملحوظ في السنوات الأخيرة، إنّ مساوئها انعكست سلبا على سائر دول العالم التي تضرّرت اجتماعيّا واقتصاديا وسياسيّا وثقافيّا، وأمنيّا، وللحدّ منها كان على الحكومات أن تنظر في الأسباب التي أدّت إليها، كالحروب، الفقر، اللامساواه، اللاعدالة، البطالة، الكوارث الطبيعيّة والاضطرابات السيّاسيّة الداخلية التي ينشأ عنها نزوح الأشخاص فرادى وجماعات إلى مناطق أخر من الوطن، وقد تقوم الدولة نفسها بالتهجير القسري للسكان الذي ليس للأشخاص فيه حرّيّة، في حين يتسلّل آخرون إلى دول أخرى طلبا للجوء بحثا عن العيش الكريم. وفي إطار الشريعة... إنّ لكلّ إنسان حقّ اللجوء في حالة تعرّضه للاضطهاد، وعلى البلد الذي لجأ إليه أن يجيره حتّى يبلغ مأمنه، ما لم يكن سبب لجوئه اقتراف جريمة.

الكلمات المفتاحية:

الهجرة – الهجرة غير الشرعيّة - التهجير– النزوح - اللجوء.

Abstract:

The phenomenon of illegal immigration is a dangerous adventure for the individual who soon ends up in death, their disadvantages were reflected negatively on the rest of the world, which was affected socially, economically, politically, culturally, and security.

To reduce them, governments had to consider the causes that led to them, such as wars, poverty unemployment, and natural disasters Internal political unrest that results in the of individuals and groups to other parts of the homeland, and the State itself may forcibly displace a population In which people have no freedom, but some people sneak into other countries to seek refuge and seek decent living. Within the framework of Sharia… everyone has the right to asylum In the event of persecution, the country to which he has sought refuge shall be accompanied by him until he reaches his safe place, unless the reason for his resort is to commit a crime.

Keywords:

immigration - Illegal immigration - displacement – force displacement - seek refuge.

مقدمة:

عرف الإنسان الهجرة قديما حيث ارتبطت بالمجتمعات البدائية بسبب الطبيعة التي لم يكن لديهم أبسط الوسائل لمواجهة قسوتها، وبسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والمعارك الداخليّة والحروب والكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل، حتّى أنّه لم يكن بإمكانهم تحقيق أدنى احتياجاتهم ومتطلباتهم الضرورية، لذا كان الفرد يبحث عن أيّ منفذ للهروب تجنّبا لأيّ خطر قد يلحق به، كما لم يجد لذلك حلّاً سوى التسلّل إلى دول أخرى طلبا للجوء اقتناصا لفرص أحسن وحياة أفضل، أو تقوم الحكومة نفسها بالتهجير القسري للسكان لأسباب مختلفة، ففي ظلّ هذه الظروف الصعبة، استحال الاستقرار لدى الفرد في مكان ما، فكان دائم الترحال والتنقل بحثا عن سبل العيش السعيد فما هي الهجرة؟ وما هي الأسباب التي دعت إليها؟ وهل لذلك جذور تاريخيّة؟ وما هو الفرق بين التهجير والنزوح واللجوء؟ وما هي النتائج المترتّبة عن ذلك؟ هذه معظم

الظواهر التي دفعت الفارين من أيّ خطر من شأنه أن يهدّد أمنهم واستقرارهم ومصيرهم. ومن أن أجل أن نمنح هذا الموضوع حقّه من الدراسة، اخترت المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن لما لهما علاقة مباشرة بطبيعة الموضوع الذي تتبّعت لمعالجته المحاور التاليّة:

1 - الإطار المفاهيمي لظاهرة الهجرة.

2 - تاريخ الهجرة في الحوض المتوسّطي.

3 – ماهية التهجير القسري واللجوء والنزوح.

4 - أسباب ونتائج الهجرة غير الشرعيّة.

هذه معظم المحاور التي اخترناها بهذا الترتيب لأجل الوقف عند كلٍّ منها، وما تفرّع عنها من عناصر، زادت الموضوع توضيحا وتنظيما وتفسيرا.

1- الإطار المفاهيمي لظاهرة الهجرة بنوعيها:

الهجرة إحدى المشكلات التي تواجهها المجتمعات وهي من بين الموضوعات الحسّاسة التي يعيشها اليوم شباب الجزائر خاصّة، وشباب دول العالم الثالث عامّة، وقد تعدّدت الآراء وتباينت مختلف وجهات النظر لأجل إعطاء المفهوم الصحيح للهجرة، التي يتمّ من خلالها التعامل مع هذا المفهوم، فمن خلال مطالعتنا لبعض ما جاء في هذا الصدد؛ وجدنا أنّ هناك من عدّها فطرة، حيث فطر الله الإنسان على التنقّل والترحال مستدلّا بما جاء به التنزيل الحكيم: قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورْ)، [الملك:16]، وقال أيضا: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكَمْ الأَرْضَ بِسَطاً لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً) [نوح:20/19](بن فريحة رشيد، 2010، ص.1) ، فالهجرة في هذا الإطار تعني حركة انتقال الأشخاص فرادى أو جماعات من مكان لآخر بحثا عن الأمن والاستقرار وهي نوعان:

أ- شرعيّة: و هي التي تتمّ بموافقة دولتين على عمليّة انتقال الأشخاص من بلدهم إلى دولة مستقبلة تمنح تأشيرات دخول بصفة نظاميّة لمن ترغب في استقبالهم، وهي حركة ديناميكيّة تنطلق من بلد المنشأ الذي يسوده مناخ غير آمن إلى مناخ آمن نسبيا.

ب- غير الشرعيّة: تُعرفُ بالهجرة التسلّليّة (غالم، نجوى، 2016) أو الهجرة السرّيّة، أو غير النظاميّة، التي تعني دخول المهاجرين إلى بلدان أخرى بصفة غير نظاميّة لعدم استفاء الشروط القانونيّة للإقامة، أو انتهاء مدّة صلاحيّة تأشيرة الدخول (كواش الزهرة، د.ت، ص.50) كثير من الشباب يلجأ إلى طرق الفساد للحصول على تأشيرة الدخول إلى بلد ما و يبذل جهود كبيرة، لو يبذلها في بلده يمكن أن يكتسب منها أضعاف ما استطاع جمعه، لكن بعد نفاذ المبلغ وانتهاء المدّة القانونيّة للإقامة في ذلك البلاد، لا يكون أمامه حينئذ سوى التفكير في الانتحار حين يكون مجبرا على العودة إلى بلده، هذه هي مأساة الشباب اليوم في ظلّ الحداثة.

تداول اليوم المصطلح العامّي "الحَرْقَه" الذي فسّره بعض الباحثين بقيام المهاجر بحرق كلّ الوثائق التي تثبت هويّته وتربطه بجذوره، على أملٍ أن يجد هوّيّة جديدة في البلد المستقبل،(محمّد أمين، 2015، https/machahid24.com) أمّا التعريف القانوني للهجرة غير الشرعيّة في القانون الجزائري بحسب الأمر رقم

211/66 المؤرّخ في 23 جويلية 1966 يعني: دخول شخص أجنبي إلى التراب الوطني بطريقة سرّيّة أو بوثائق مزوّرة بِنِيَّة الاستقرار أو العمل.(نعيمة بوزيان،2018، ص. 279) غير أنّ هناك من حدّد مفهوم ظاهرة الهجرة غير الشرعيّة من خلال ثلاث معايير مكانيّا، زمنيا وأمنيّا:

أ- المعيار المكاني: إنّ الهجرة تشير إلى تغيير موطن الإقامة، لأنّ البدو الرحل ينتقلون من مواضع إقامتهم إلى مواضع أخرى في باطن الصحراء فلا يعدّ ذلك هجرة مهما بَعُدَت المسافة.

ب- المعيار الزماني: وهو ما يتعلّق بمدّة الهجرة، حيث أنّ الزمن القصير ثمّ العودة إلى المكان الأصلي لا يُعدّ هجرة.

ج- المعيار القانوني: (دريفل، سعدة، د.ت، ص.167) وهو معيار يتعلّق بشرعيّة الهجرة التي تكون في إطار قانوني، في حين الهجرة غير القانونيّة تعرّض الشخص إلى عقوبات يقرّها البلد المهاجر إليه، والمهاجر منه.

2- تاريخ الهجرة في الحوض المتوسّطي:

حسب ما جاء في مجلّة "فكر وفن" الألمانيّة كانت الهجرة تمثّل محورا جوهريّا في عمليّة التحوّل الاجتماعي، لأنّ الإنسان في مرحلة ما قبل الحداثة لم يكن يميل كثيرا للاستقرار.

ويمكن الحديث عن الهجرة العالميّة منذ بداية توسّع أوربا سياسيّا وإقليميّا وثقافيّا واقتصاديّا، فمع الغزو الإسباني والبرتغالي للأمريكتين إبّان الفترة الانتقالية من القرن الخامس عشر إلى القرن السادس عشر، شكّل ذلك إطارا رئيسيّا لحركات الهجرة العالميّة،(ليوخن، أولتمر، 2016، http://www.goethe.de/ges/phi 2016/prj/ffs/ueb/arindex.htm) إلّا أنّها أدّت فيما بعد وحتّى بدايات القرن العشرين إلى حدوث تحوّل بعيد المدى في إطار البنية السكانيّة لاسيما الأمريكتين وجنوب المحيط الهادي، بل في أجزاء من إفريقيا وآسيا أيضا، وفي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ومع بلوغ هجرة الأوربّيين ذروتها، بدأ في الوقت نفسه تاريخ أوربا كقارة مستقبلة للهجرة.(ليوخن أولتمر، 2016، http://www.goethe.de/ges/phi/ 2016prj/ffs/ueb/arindex.htm)

لقد كانت الهجرة عبر أقطار العالم في ما مضى، حتّى أواسط القرن الماضي أمرا مرغوبا فيه فلم يكن هناك اعتراض أو مراقبة، لاسيما بعد الحرب العالميّة الثّانية حين كانت الدّول الأوربيّة بحاجة إلى اليد العاملة لإعادة بناء منشآتها، لذا عملت على استقطاب الأشخاص الناشطين من بلدان إفريقية، استكمالا للنقص الذي حدث في فرنسا، حيث تميّزت بالرّكود الديمغرافي الذي نتج عن تراجع نسبة الولادات، أمّا ألمانيا فتميّزت بارتفاع نسبة المسنّين، ثمّ إنّ السكّان قد دخلوا في سنّ التقاعد.(كواش، الزهرة، د.ت، ص.52) أمام هذا الوضع الخطير، تدفّق الجيل الأوّل من المهاجرين من مختلف الدول الإفريقية، وبعد الأزمة العالميّة التي أصابت الدوّل المستقبلة في السبعينات... استغنت تلك الدوّل عن عدد كبير من اليد العاملة... وتمّ بموجب ذلك غلق الحدود مع فرض التأشيرة. هذا الإجراء قامت به تلك الدّول محاولة منها للسيطرة على الوضع، ثمّ أدارت ظهرها لليد العاملة الإفريقيّة لتفتحه... في وجه السوق الأوربيّة... كان هذا التحوّل سببا في ظهور أولى بوادر الهجرة غير الشرعيّة من البلدان التي كانت تعاني من النمو السريع للسّكان، مع انخفاض النمو

الاقتصادي، وانعدام سياسة تنمويّة، تلتها مشاكل اجتماعيّة واقتصاديّة وارتفاع معدل البطالة. وبعد اتفاقية ماستريخت المؤسّسة للإتحاد الأوربي التي تمّ التوقيع عليها سنة 1991 (معماش، صلاح الدين، 2011، ص.55) لاسيما معاهدة (شنغن 1985)(معنصري، شمس الدين، 2011، ص.56) التي دخلت حيز التنفيذ عام 1995، ونظرا لما جاء في بنود الاتفاقية من ضرورة حماية حقوق الإنسان و تعزيزها، زادت رغبة و إلحاح الشباب في الهجرة غير الشرعيّة.

وحسب إحصائيات الدرك الوطني لسنة 2013 بلغ عدد جنسيات المهاجرين غير الشرعيين إلى 28 جنسيّة قادمين من الحدود الجنوبية الشرقية والغربية، قاصدين أوربا فلمّا تقطّعت بهم السبل اضطرّوا إلى الإقامة بطرق غير قانونيّة في الجزائر. وسأبيّن على الجدول التالي الأعداد المفاجئة من المهاجرين الوافدين بطرق غير قانونيّة.

السنة	2007	2008	2009	2010	2011	2012	9 أشهر من 2013
عدد الموقوفين	7072	7917	7028	5714	6844	3642	2524

المصدر: قيادة الدرك الوطني الشراقة الجزائر سنة 2015.(كواش الزهرة، د.ت، ص. 53/54)

3-1 - التهجير القسري:

إلى جانب الهجرة غير الشرعيّة، ظهر التهجير القسري، لأسباب عديدة منها الحروب الداخليّة، والتكتّلات الإرهابية، إنّ لهذه الظاهرة تداعيّات كبيرة على الأسرة من حالات التشريد والاضطهاد، وما يترتّب على ذلك من آثار نفسيّة، لاسيما حين يفقد الأبناء آباءهم ممّا يزيد الأمر تأزما نظرا لضعفهم وهشاشتهم.

التهجير القسري: هو ممارسة تقوم بتنفيذها حكومات أو قوى شبه عسكريّة أو مجموعات متعصّبة تجاه مجموعات عرقيّة أو دينيّة أو مذهبيّة بهدف إخلاء أراضي معيّنة دون حرّيّة المهجّر أو إرادته (عبد علي الخفاف، عبد مخور الريحاني، 2018، ص. 265) وإحلال مجاميع سكّانيّة بدلا عنها، وفي مقال من مصدر مخالف يرى "حسين نور الأعرجي" أنّ التهجير هو أحد أشكال الانتقال الجغرافي للسكان من منطقة لأخرى، غالبا ما تتّسم بالعنف والقوّة، ثمّ يعرّفه بالنزوح الإجباري.(الخفاف، عبد علي و الريحاني، عبد مخور، ص. 265) وبالعودة إلى التاريخ يجد الباحث الجذور التاريخية لجريمة التهجير القسري تعود إلى أيّام بلاد ما بين النهرين، حيث وَجَدَ فيها ساسة القوم سياسة فعّالة... فيبدو أنّه لتحقيق طموحاتهم السيّاسيّة، لجأوا إلى سياسة النفي والتهجير، يتّضح ذلك بالعودة إلى حضارة بلاد الرافدين فيما يتعلّق بالسومريين الذين بدأ تاريخهم بعصر (أوراك) (4000-3000) ق.م والدولة السومرية الحديثة من عام (2112-2004) ق.م والسيّاسة التي اتبعها الملك شو من سلالة أورو الثالثة (2037ق.م-2029ق.م) هي سياسة التهجير. و بعد هذا التوضيح التاريخي يُذْكر أنّ الملك (شو) قام بتهجير سكان إحدى المناطق... إلى مدينة (نفر)، وفي فقرة مواليّة أضاف أنّ البابليين انتهجوا السيّاسة نفسها في تهجير السكّان إلى بابل أو المدن الرئيسيّة أو القرى القريبة منه(غازي، جابر رزاق، 2015، ص.6.)

ثمّ أدلى صاحب المقال بتصريح آخر مفاده أنّ الملك (تجلا تبليزر) هو أوّل من طبّق سيّاسة التهجير إذْ جرى في عهده إفراغ مدن ومقاطعات... من سكّانها وتهجيرهم في مناطق نائيّة وبعيدة... وباستعمال العنف وتحت ضغط السلاح قام بتهجير جماعات أخرى إلى نفس المناطق التي تمّ إخلاؤها.

(جريمة التهجير القسري،2015، ص 5.) غير أنّ السيّاسة التي انتهجها الآشوريّون كانت مخالفة تماما لم سبق، حيث كانوا يقومون بنقل السكّان إلى الأقاليم المفتوحة إلى بلاد بعيدة ليمتزجوا مع سكّانها، وهنا لفتة مهمّة أودّ الإشارة إليها، تتمثل في ذكاء الآشوريين في سيّاستهم التي يرغبون من ورائها إلى القضاء على وحدة السكّان وكيانهم، وبالتالي يرتدع المتمرّدون على السلطة،(جريمة التهجير القسري،2015، ص 7) وبهذه التصرّفات القاسيّة لا يتمكّن الباحث من إيجاد قواعد أو ضوابط يتمّ بموجبها فهم كيفيّة تنظّيم التهجير أو الإبعاد القسري للمدنيّين، ذلك لأنّ سلوك المتحاربين يتّسم بالفوضى والقسوة والوحشيّة،(جريمة التهجير القسري،2015، ص 10) تلك سيّاسات انبنت على الرّدع والقهر لا تعرف الرحمة، ترعى مصالحها بالدّرجة الأولى، ولا تهمّها النتائج. لكن الشريعة الإسلاميّة أرست قواعد لحماية المدنيين من التهجير والإبعاد القسري، وعَدَّتْها جريمة عُظْمى في حقّ الإنسانيّة، لأنّها تَهْدِم أبسط الحقوق الطبيعيّة للإنسان، والمتمثّلة في حقّ الحياة وسلامة البدن والعقل والعِرض والمال والأهل. (جريمة التهجير القسري،2015، ص 14) وأودّ أن أضرب أمثلة للتهجير القسري الذي تعرّض له إخواننا في فلسطين، بسبب الاستيطان الإسرائيلي منذ النكبة سنة 1948م، ثمّ في العراق منذ بدء الاحتلال الأمريكي سنة 2003م، وما تعرّض له أشقّاؤنا في الموصل بسوريا جرّاء الخوف من العمليات الانتقاميّة للحشد الشيعي.(سليمان عيسى، 2017) إنّ ظاهرة التهجير في هذه الأمثلة يعود سببها إلى الظلم، وتكالب الدول الغربيّة على نهب خيرات الدول الضعيفة، ولا يهمّ حُكّامُها أن يُهَجَّر الشعب أو يموت.

3-2- النـزوح:

النزوح حركة فرد أو جماعة تركوا مناطقهم الأصلية نازحين إلى أماكن أخرى داخل حدود دولتهم خوفا من الحروب الأهليّة أو المجاعة أو انتهاك حقوقهم الأساسيّة أو طلبا للحماية من الكوارث الطبيعيّة، وليس للنازح في ذلك اختيار.(كواش، الزهرة، د.ت.ص.48) ويعرف أيضا بالإخـــلاء الذي يُعَدُّ شكلا من أشكال النزوح الناجم عن الكوارث، يهتمّ بنقل الأشخاص والممتلكات مؤقّتا إلى أماكن أكثر أمانا، قبل أو أثناء أو بعد وقوع خطر من أجل حمايتهم. (مكتب الأمم المتحدة للحدّ من مخاطر الكوارث، 2018، ص.14.) كثيرا ما تتكاثف الجهود من أجل ذلك من أبناء البلد الواحد، أو تكون هنا إعانة دوليّة تبعا لحجم الكارثة وخطورة الوضع.

لقد جرى تعاونا دوليا لمعالجة قضيّة النزوح من الكوارث بقيادة المجلس النرويجي بتمويل من الحكومة الألمانية، يهدف هذا التعاون إلى إيجاد استراتيجيات للحدِّ من مخاطر الكوارث مستقبلا وقد تَكَوَّن لذلك فريقا ومنهاج عملٍ بوزارة الخارجية الألمانية، (IDMC))1ومركز لرصد النزوح الداخلي((IOM) ومنهاج الأمم المتّحدة للهجرة (PDD) الناجم عن الكوارث. حين يقرأ الباحث هذه السطور تتّضح له صورة العالم الآخر

كيف تتكاثف جهود الدول وتسهر على وَضْع قوانين ومناهج خدمة للإنسان ومحافظة على استقراره، وفي الوقت نفسه هو المحافظة على الأمن والاستقرار لكافة دول العالم.

3- 3- اللّجوء:

لقد شكّلت التقاليد والأعراف العربيّة... الأساس الراسخ لحماية بني البشر والمحافظة على كرامتهم... يتجلّى ذلك في استخدام مصطلحات الإجارة والاستجارة والإيواء لتدلّ دلالة واضحة على الحماية التي هي اليوم في صميم ولاية المفوّضيّة السامية لشؤون اللاجئين...

اللجوء: يعني تغيير شخص مكان إقامته خارج بلده الأصلي إلى دولة أخرى خوفا من أيّ خطر، وفي مقارنة بين اللجوء والنزوح تبيّن أن اللاجئ يتعدّى حدود بلده، في حين أنّ النازح ينتقل داخل وطنه، غير أنّهما يجتمعان في أنّهما هجرتان إجباريتان (كوّاش، الزهرة، ص.48) أمّا اتّفاقيّة الأمم المتحدة المتعلّقة بشؤون اللاجئين سنة 1951م والبرتوكول الخاص بها لسنة 1967؛ عَرَّفَت اللاجئ بأنّه: شخص، بسبب خوف له ما يبرّره من أن يتعرّض للاضطهاد، لأسباب تتعلّق بالعرق، الدين، الجنسيّة أو العضويّة في مجموعة اجتماعيّة خاصّة... يكون خارج الدولة التي يحمل جنسيتها...(بوزيان، نعيمة، 2018، ص. 280/279.) وفي مقارنة بين اللجوء والهجرة غير الشرعيّة؛ تبيّن أنّ اللاجئ محميٌّ قانونا، في حين أنّ الهجرة غير الشرعيّة جريمة يعاقب عليها القانون.(بوزيان، نعيمة ، ص.280) هذا الذي يغفل عنه كثير من المهاجرين غير الشرعيين، ظانّين أنّه في حالة الإمساك بهم، يعودون إلى ذويهم معزّزين مكرّمين، متجاهلين أنّهم يعرِّضون أنفسهم إمّا إلى الموت غرقا، أو يكون مصيرهم السجن إمّا في بلدانهم أو في البلد الذي يقصدونه بطرق سرّيّة.

لقد قامت الجمعيّة العامة للأمم المتّحدة بتأسيس مكتب المفوض السّامي... لشؤون اللاجئين في 14 ديسمبر سنة 1950... لحماية اللاجئين.

(الربيع، وليد خالد ، د.ت) وأكثر فهْمًا لقيمة الإنسان في هذا الوجود، حين جاءت الشريعة الإسلاميّة لتكرِّس مبادئ الإنسانيّة والأخوّة والتسامح بين البشر؛ فإغاثة الملهوف وإجارة... المستجير... وإيوائه ومنحه الأمان حتّى ولو كان من الأعداء، هي من ضمن الشرائع الإسلاميّة التي سبقت... القوانين والمواثيق الدّوليّة الحديثة لحقوق الإنسان بقرون عديدة، منها حق اللجوء، وعدم... إرجاع اللاجئ... حفاظا على سلامته وتفاديّا لتعريضه... للقتل أو الاضطهاد.(أحمد أبو الوفا، 2009، ص.5) وقد أثبتت الشريعة عقد الأمان للاجئ، وأثبتت أيضا حقوق الإنسان الواردة في النصوص الفقهيّة التي تنظّم لجوء غير المسلم إلى بلاد المسلمين، فما من شكّ أنّ حكام الدوّل الغربيّة يأخذون القوانين لتسيير شؤون بلادهم من الشريعة الإسلامية، وهم متأكّدون من صحّتها وسلامتها، والحقّ ما شهدت به الأعداء.

4-1- أسباب الهجرة غير الشرعيّة:

تعدّدت الأسباب التي دفعت الشباب إلى الهجرة وهي تتجلّى أساسا في ظروف اجتماعيّة واقتصاديّة وسيّاسيّة قاسيّة تمرّ بها الدوّل المصدّرة للهجرة للغرب، ثمّ إنّ ابتعاد حكومات دول العالم الثالث عن فكرة التناوب على السّلطة بين الأحزاب السيّاسيّة، تحقيقا للمزيد من المكاسب الاقتصادية،(طبيب، كمال، 2012، ص.37)

إضافة إلى ما يحمله الشباب من أفكار من نسج الخيال عن الغرب الذي لا يرى من خلاله إلّا كلّ إيجابيٍ متجاهلا كلّ السّلبيّات، كالبحث عن فرص العمل والأجور المرتفعة أو إكمال الدراسة في التعليم العالي، هناك أيضا عوامل أخرى من بينها التطوّرات التكنولوجية والاجتماعيّة الحاصلة في المجتمعات الأوروبية المتقدّمة، التي تستقطب أنظار المهاجرين، لهذا ازدادت معدلات الهجرة غير الشرعية ونمت شبكاتها بشكل رهيب خاصّة في دول المغرب العربي. و يمكن تلخيص أسباب الهجرة فيما يلي:

أسباب اقتصاديّة:

- اقتصاد الدول المصدّرة للهجرة يتميّز بالهشاشة.
- تبعيّة اقتصاد الدول الضعيفة للغرب.
- تكديس الثروات في أيدي ممثلي السلطة.

أسباب اجتماعيّة:

- فشل الدول الناميّة في حل المشاكل الاجتماعيّة والاقتصاديّة.
- تفاقم أزمة الاندماج الاجتماعي.
- انتشار البطالة بشكل كبير.
- انعدام المساواة والعدالة الاجتماعية.

أسباب سيّاسيّة:

- التسابق على المناصب السيّاسيّة
- الحروب والمعارك والاضطرابات السيّاسيّة.
- احتكار العمل السيّاسي للسّلطة في أيدي فئة قليلة لسنوات طويلة.
- الصراعات العرقيّة.

4-2- النتائج المترتّبة عن الهجرة غير الشرعية:

تمثّل مشكلة الهجرة غير الشرعيّة خطرا كبيرا على المهاجرين أنفسهم، حيث يموت الآلاف من المهاجرين غرقا كلّ عام بينما يتمّ القبض على أعداد كبيرة منهم على يد شرطة السواحل في الدّوّل الأوربّيّة ليتمّ إعادة ترحيلهم فورا إلى دولهم، وقد يفاجأ المهاجرون بعصابات الاتجار بالبشر من التي تُعَدّ أبرز المشكلات المصاحبة لظاهرة الهجرة غير الشرعيّة، حيث يصاب المهاجر بخيبة أمل وحالة من الإحباط والتدهور النفسي، حين يجد نفسه في السوق يباع كالعبيد، ثمّ تتمّ الاستعانة بهم في تجارة المخدّرات أو السلاح أو الأعمال الإباحيّة المنافية للأخلاق، ومن يرفض الامتثال لأوامر العصابة يُقتل ثمّ تباع أعضاء من جسده إلى الأغنياء، (منصور، سارة، 2019) وفي كلّ الحالات تكون هذه العصابة ناجحة ولا تخسر شيئا، بل المهاجر هو الذي يضيّع شخصيّته وهوّيته وكرامته. وللهجرة غير الشّرعيّة آثار عديدة تمسّ مختلف ميادين الحياة، هذا ما سأبيّنه في النقاط التاليّة:

الجانب الاقتصادي:

- الإخلال بآليات سوق العمل، في عدم توازن العرض والطلب.
- تضاؤل فرص الشغل.
- ارتفاع مهول في نسبة البطالة.
- تزايد جرائم السرقة والكسب بطرق غير مشروعة وترويج المخدّرات.

الجانب الأمني:

- ظهور أفكار متطرّفة منافية للآداب بين أوساط الشباب المنحرف.
- ظهور خطر تهريب البشر.
- ظهور خلايا إرهابيّة تهدِّد أمن الدول المستقبلة.
- دخول أسلحة وذخائر لزعزعة استقرار الدّول.
- صعوبة الاستدلال على مرتكبي الجرائم من المخالفين في البلدان المستقبلة.
- انتشار ظاهرة التشرد والسرقة والكسب غير المشروع وترويج المخدّرات.(موالك، أحسن، 2010، ص.163)

الجانب الاجتماعي:

- ظهور الأحياء القصديريّة.
- انتشار الأوبئة والأمراض الخطيرة.
- انتشار الدعارة على أوسع نطاق دون مراعاة السن أو الجنس.
- دخول عادات وتقاليد غريبة على المجتمع.
- ظهور قيم غير سليمة وثقافات دخيلة كالتسوّل والتسكّع في الطرقات.
- تكبّد الهجرةُ غير الشرعيّة الدّولةَ أعباءً ماديّة لملاحقة واحتجاز وتسفير المخالفين لقانون الهجرة.(عثمان الحسن، محمد نور، ياسر عوض، الكريم المبارك، 2008، ص.38/81)

خاتمــة:

أوّل ما ينبغي الإشارة إليه في خاتمة هذا الموضوع، هو ضرورة توعيّة الشباب بإقامة حملات تحسيسيّة لمكافحة الهجرة غير الشرعيّة؛ تظمّ مختصين من أساتذة وأطباء نفسانيين وباحثين في هذا المجال، للبحث عن أسباب هذه الظواهر، والنتائج الخطيرة التي يتعرض لها الشباب. وفي الوقت نفسه ينبغي محاولة تحسين الأوضاع المعيشيّة لكلّ فئات الشعب، ومنح فرص عمل تقضي على البطالة، وتضمن حياة كريمة لكلّ أفراد المجتمع دون إقصاء فرد من أفراده.

ثمّ لِمَحْوِ فكرة الهجرة غير القانونيّة من أذهان الشباب مطلقا، لابدّ من زيادة المراقبة على السواحل و الحدود البرية، مع تعزيزها بقوات مسلّحة للعمل بصرامة ردعا للمخالفين للقانون، ثمّ السهر على محاولة الحدّ من نزوح المهاجرين الأفارقة إلى دول الإتحاد الأوروبّي، والعمل على محاربة الفساد في شتّى صوره، ثمّ توجيه

نداء إلى دول الإتحاد الأوروبي ومنظمة الأمم المتحدّة للمساهمة دوليّا لوقف الحروب الأهليّة التي تعدّ السبب المباشر الذي يدفع الأشخاص للهروب من خطرها في شكل جماعات بحثا عن الأمن والأمان.

الهوامش والمراجع:

أولا–الكتب:

أبو الوفا. أحمد. (2009). حقّ اللجوء بين الشريعة الإسلاميّة والقانون الدوّلي للاجئين، الرياض: جامعة نايف العربيّة للعلوم الأمنيّة.

الحسن. محمد نور عثمان. المبارك. ياسر عوض الكريم.(2008) الهجرة غير المشروعة والجريمة، الريّاض: جامعة نايف.

غازي. جابر رزاق (2015). سياسة النفي والتهجير، جريمة التهجير القسري، بغداد: جامعة النّهرين.

المبادئ التوجيهية والمحظورات في حالات التشريد الداخلي، أهالي سيناء نموذجا (2017)، القاهرة: مركز هردو.

ثانيا – توثيق الدوريات والملتقيات:

بوزيان، نعيمة (2018) الإطار المفاهيمي لظاهرة الهجرة غير الشرعيّة، مجلة الميزان، ع.3،جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.

الخفاف، عبد علي (2018). عبد مخور الريحاني، جغرافية السكان، نقلا عن حسين نور الأعرجي، نتائج التهجير القسري في العراق القديم للدّولة الآشورية، مجلة كلّيّة التربية، ع. 28، العراق.

دريفل، سعدة (د.ت) الهجرة غير الشرعيّة العوامل الجاذبة و الدافعة وأخطارها، الجلفة:جامعة زيان عاشور.

كواش، الزهرة (د.ت) إشكاليّات الهجرة الإفريقية غير الشرعيّة، حوليات جامعة الجزائر1، ع.30.

معماش، صلاح الدين (2011). القانون الأوربي لحقوق الإنسان نقلا عن شمس الدين معنصري، الآليات الأوربية لحماية حقوق الإنسان، جامعة بسكرة.

ثالثاً: الأطروحات و الرسائل الجامعية:

بن فريحة، رشيد (2010) جريمة مغادرة الإقليم الوطني بصفة غير شرعيّة، تلمسان: جامعة أبو بكر بلقايد، مذكّرة ماجستير.

موالك، أحسن (2010) عوامل تعلّق الشباب الريفي بالهجرة غير الشرعيّة، الجزائر: جامعة الجزائر، مذكّرة ماجستير.

طبيب، كمال (2012) ظاهرة الهجرة غير الشرعيّة في العلاقات الأورومغاربية، الجزائر: جامعة الجزائر، رسالة ماجستير.

رابعاً: مواقع التواصل الاجتماعي:

أمين، محمّد (2015) مفهوم الهجرة غير الشرعيّة وأسبابها في منطقة المغرب العربي.

.https //machahid24.com

سليمان، عيسى (2017) التهجير القسري، هولندا.

Human Rights Guardians

قسطل، عادل (2015) طريق اللجوء، سلسلة تحقيقات حول أكبر موجة هجرة في تاريخ أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية.

http://www.goethe.de

ليوخن، أولتمر، د.ت، أوربا في قلب الهجرة المعولمة،

https://www.france24.com- الهجرة-فرانس24